خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١٦

وأنا آمركم بخمس

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيسـاوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

الكلماتُ الخمسُ!!

وفي سهرةِ هذهِ اللّيلةِ المباركةِ ـ ليلةِ الجُمعةِ ـ افتتحَ (أبو الخيرِ) الجلسةَ بذكرِ اللهِ تعالى ، ثُمَّ الصَّلاةِ على رسولهِ صلواتُ اللهِ عليهِ.

وبعدَئذٍ قرأَ من دفترهِ هذا الهَدْيَ النَّبويَّ:

عن الحارثِ الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قال: إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ تعالى أمرَ يحيىٰ بنَ زكريا بخمسِ كلماتٍ أنْ يَعْملَ بهنّ ، وأن يأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملُوا بهن ، فكادَ أَنْ يُبطئَ.

فقالَ لَهُ عيسى: إنّكَ قد أُمِرْتَ بِخمسِ كلماتٍ أن تعملَ بِهنّ ، وأن تأمرَ بَني إسرائيلَ أنْ يَعملوا بهنّ ، فإمّا أن تبلِّغَهم ، وإمّا أَنْ أبلِّغَهُمْ.

فقالَ لَهُ: يا أخي إنّي أخافُ إنْ سَبَقتَني أَنْ أُعَذَّبَ ، أو يُخسَفَ بِي ، فجمعَ بني إسرائيلَ في بيتِ المقدسِ حتّى امتلأَ المسجدُ ، وقعدُوا على الشُّرفِ ، فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ قال:

إنَّ الله أمرَني بخمسِ كلماتٍ أَنْ أَعملَ بِهِنّ ، وأمرُكم أَنْ تعملُوا بِهنّ ، أوّلهُنَّ:

أَنْ تَعبُدوا اللهَ ولا تشركُوا بهِ شيئاً ، فإنَّ مثلَ ذلكَ كمثلِ رَجُلٍ اشترىٰ عبداً مِنْ خاصِّ مالِهِ بورِقٍ[1] أو ذهبٍ ، فقالَ: هذهِ دارِي ، وهذا عملي ، فاعمَلْ وأدِّ إِلَيَّ عَمَلِي ، فجعلَ يعملُ ويؤدِّي عملَهُ إلى غيرِ سَيِّدِهِ ، فأيُّكُمْ يسرُّهُ أن يكونَ عبدُهُ كذلكَ؟!

وإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلَقَكُمْ ورزقَكُمْ ، فاعبدُوه ولا تشرِكُوا بِهِ شيئاً.

---

(١) أي: الفضة.

وآمرُكُمْ بالصَّلاةِ ، فإنَّ اللهَ ينصبُ وجهَهُ لعبدِهِ ما لم يلتفِتْ ، فإذا صلَّيْتُمْ فلا تلتَفِتُوا.

وآمرُكُمْ بالصِّيامِ ، فإنَّ مثلَ الصِّيامِ كمثلِ رجلٍ معهُ صُررٌ من مِسكٍ في عصابةٍ ، كلُّهم يحبُّ أَنْ يجدَ ريحَ المِسكِ ، وإنّ خُلُوفَ فمِ الصَّائمِ ، أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المِسكِ.

وآمركمْ بالصَّدقةِ ، فإنَّ مثلَ ذلكَ رجلٌ أسرَهُ العَدُوُّ ، فشدُّوا يديهِ إلى عُنقِهِ ، فقدمُوا ليضرِبُوا عنقَهُ ، فقالَ: هَلْ لكم أَنْ أفتدِيَ نفسي ، فجعلَ يفتدي نفسَهُ منهم بالقَليلِ والكثيرِ حتّى فَكَّ نفسه.

وآمركُمْ بذكرِ اللهِ كثيراً ، فإنّ مثلَ ذلكَ كمثلِ رجلٍ طلبَهُ العَدُوُّ سِراعاً[1] في إثرِهِ ، فأتى حصناً حَصِيناً فتحصَّنَ فيه ، وإنَّ العَبْدَ أحصنُ

---

(١) أي: مسرعين.

ما يكونُ مِنَ الشَّيطانِ إذا كانَ في ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

قالَ: وقالَ رسولُ الله ﷺ: وأنا آمُركُمْ بخمسٍ، اللهُ أمرني بِهِنَّ:

بالجماعةِ، والسَّمعِ والطَّاعةِ، والهجرةِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ، وإنَّهُ مَنْ خرجَ من الجماعةِ قِيْدَ شبرٍ فقدْ خَلَعَ ربقةَ الإسلامِ من عُنقِهِ[1]، إلاّ أَنْ يراجعَ، ومن دعَا بِدَعوىٰ الجاهليةِ فَهُوَ مِنْ جُثِيِّ جهنَّمَ»[2].

لماذا نعبدُ اللهَ؟!

قالَتْ (روضة): وأمّا الكلمةُ الأُولى فتركِّزُ

---

(١) أي: نبذ عهد الله سبحانه وتعالى.

(٢) أي: من جماعات جهنم.

على توحيدِ اللهِ وعدمِ الإشراكِ بهِ ، وهذهِ هيَ العبوديةُ الخالصةُ.

وقد قَسَّمَ العُلماءُ العبادةَ إلى قسمين: عبادةٌ بالتَّسخيرِ ، كسجودِ البهائمِ والأفلاكِ ، وعبادةٌ بالاختيارِ ، وهيَ لذوي النُّطقِ.

وبالتَّالي ، فكيفَ يعبدُ الإنسانُ غيرَ اللهِ؟

فَمَنِ الّذي خلَقَهُ من عَدَمٍ ، وذلكَ أَنَّهُ كانَ لا شي ، فأوْجدَهُ ، وكوَّنَهُ ، وصوَّرَهُ في أحسنِ صورةٍ.

مَنِ الَّذي أمدَّهُ بالنِّعَمِ ، لحظةً لحظةً؟ ولو فكَّرَ الإنسانُ: كيفَ كانَ نطفةً ، ثُمَّ تشكَّلَ جنيناً في بطنِ أمِّهِ؟! لأدركَ عَظَمةَ الخالقِ.

فمَنِ الّذي أمدَّهُ بالأكسجينِ والغذاءِ وهُوَ في تلكَ الظُّلماتِ؟

ثُمَّ مَنِ الَّذي أَجْرَى له الحَليبَ فِي ثَدْيَي أُمِّهِ حينَ ولادَتِهِ؟

إِنَّهُ اللهُ سبحانَهُ في عُلاه.

وهكذا ، فكلُّ شيءٍ من حوله ينطقُ بتسبيحِ الخالقِ ، حيثُ سخَّرَ اللهُ كُلَّ ما في الكَونِ لخدمةِ هذا الإنسانِ!

ثمَّ فلنَتساءَلْ: مَنِ الّذي أنزلَ الأمطارَ؟ وأجرىٰ الأنهارَ؟ وسيَّرَ الشَّمسَ والأفلاكَ؟ ومَنْ الّذي يُعطي الخيراتِ و..؟

الكلُّ ينطقُ: إِنَّهُ اللهُ سبحانَهُ وَتعالى:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ

تدلُّ على أنَّهُ الواحدُ

هيّا إلى الصَّلاةِ والصِّيامِ

وقالَ (جميل): ثُمّ يأتي الحديثُ عنِ الصّلاةِ والصّيامِ.

وذلكَ لأنَّ أداءَ الصَّلاةِ حسبَ ما يُريدُ اللهُ تعالى يعني التَّذلّلَ والخُضوعَ بينَ يدي اللهِ الّذي يستحقُّ ذلكَ وحدَه؛ لذلِكَ فَمِنَ الأدبِ معَ اللهِ: أنْ يقفَ الإنسانُ بينَ يدَيْهِ، لا يلتفِتْ إلى شيءٍ سِواه، حيثُ إنَّ شعارَ الصَّلاةِ الأذانُ، والأذانُ يدورُ حولَ جملةٍ رائعةٍ، هيَ: اللهُ أكبرُ، وهذا يعني أنَّ كُلَّ ما عدا الله أصغرُ!

لأنَّ كلَّ ما عدا الله سيموتُ، حتّى مَلَكُ المَوتِ! بَلْ وحتّى أعظمُ المخلوقاتِ وهو حبيبُنا محمَّدٌ ﷺ.

لذلكَ فالبقاءُ والخلودُ للهِ وحدَهُ، فلماذا يهتَمُّ الإنسانُ بِمَنْ سِوَاه؟

اجعـــلْ بِـــرَبِّـــكَ كُـــلَّ عِـــزِّكَ
يستقـــــــــرُّ وَيثْبُـــــــــتُ
فـــــإذا اعتـــــزَزْت بِمَـــــنْ
سِـــواه فـــإنَّ عِـــزَّكَ زائـــلُ

وهل أجملُ وأروعُ مِنْ أَنْ يقفَ الإنسانُ بينَ يدي خالِقِهِ سبحانَهُ وتَعالى؟!

مِنْ هُنَا نَفهمُ لماذا كانَ رسولُ اللهِ صَلَواتُ اللهِ عليهِ كلّما حَزَبَهُ ـ ضايَقَهُ ـ أمرٌ قالَ لمؤذِّنِهِ بلال بنِ رباح:

«أَرِحْنَا بِهَا يا بلال»

أيْ قُمْ فارفَعِ الأذانَ ، ولِندخُلْ في الصَّلاةِ ، ونقفْ بينَ يدي اللهِ ، نشكو إليهِ كُلَّ ما أَهَمَّنَا وأَغَمَّنا.

وصدقَ الرَّسولُ ﷺ عندَما قالَ: «وجُعِلَتْ قرّةُ عيني فِي الصَّلاةِ».

وأمَّا الصِّيامُ فَهُوَ الأمرُ الَّذي لا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يفهمَ ماذا يعني حقيقةً؟!

فلا أحدُ يراقبُ، ولا أحدَ يحدِّدُ مَدىٰ قبولِ الصِّيامِ أو رفضِهِ، ولا .. إلا اللهُ سبحانَهُ وتعالى، لذلكَ نَقَلَ الرَّسولُ ﷺ في الحديثِ القُدسيِّ قولَهُ تعالى: «الصّومُ لي وأنا أَجْزِي بهِ».

أجلْ إِنَّهُ الصَّومُ، الّذي يربِّي المسلمَ على الصَّبرِ والتّحَمّلِ وعلى ضبطِ الشَّهواتِ والمَلَذَّاتِ، وعلى قوّةِ الإرادةِ وعلى السَّمعِ والطَّاعةِ، وعلى التّنظيمِ في كلِّ شيءٍ، وصَدَقَ اللهُ تعالى عندما قال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٣].

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

وقالَتْ (أُمُّ الخير):

ثُمَّ يأتي الحديثُ عن مسألةِ الصَّدقاتِ، وذلكَ لأنَّ الصدقةَ تعني: ما يُخرجهُ الإنسانُ مِنْ مالِهِ على وجْهِ القُربةِ كالزَّكاةِ ونحوه، مصداقُ ذلكَ قولُه تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وحقيقةُ الأمرِ، أنَّ اللهَ تعالى عندما يأمرُنا بالتَّصدُّق، فهذا لا يعني أنَّ اللهَ لا يستطيعُ أَنْ يرزُقَ عبادَهُ الفقراءَ ويكفِيْهم!

أبداً وحاشا للهِ تعالى، إنَّما الهدفُ مِنْ ذلكَ أَنْ يتدرَّبَ الإنسانُ على الإنفاقِ، وأنْ لا يبخلَ ويُصابَ بالشُّحّ وعبادةِ الدِّرهمِ والدِّينارِ!

لذلكَ اعتبرَتِ الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ الإنفاقَ بِمثابةِ تحصينٍ للمالِ، وتحصينٍ للنَّفسِ، كمَا في قولِ رسول الله ﷺ: «حَصِّنوا أموالَكُمْ بالزَّكاةِ ودَاوُوا مَرضَاكُمْ بالصَّدقة».

وآمركم بذكرِ اللهِ

وقالَ (صُهَيب): وأمَّا ذكرُ اللهِ فَهُوَ عبوديَّةُ القلبِ واللّسانِ، ففيهِ جَلاءُ القلوبِ ورداؤُها، وهل أجملُ من ذكرِ المحبوبِ لحبيبهِ؟

منْ هُنا نفهمُ الأثرَ الكبيرَ للذِّكرِ في نفسِ الذَّاكِرِ، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

[الأنفال: ٢].

وقلبُ المؤمنِ لا يطمئنُّ إلاّ بِذكرِ اللهِ

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

لذلكَ كانَ الذِّكْرُ هو الحصنُ الحصينُ مِنْ وَسوَساتِ الشَّياطينِ ونزعاتِهم، مصداقُ ذلكَ قولهُ تعالى:

﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾

[المجادلة: ١٩].

الجماعة.. الجماعة!!

وقالَ (أبو الخير):

ثُمَّ يأتي التَّركيزُ النَّبويُّ على أنْ لا يعيشَ المسلمُ الانعزاليَّةِ والفرديّةِ، إنَّما عليهِ أَنْ يكونَ معَ الجماعةِ دائماً؛ وذلكَ لأنَّ في الفرقةِ

ضياعٌ ، وفي الجماعةِ قوَّةٌ ، مصداقُ ذلكَ قولُ الرَّسولِ ﷺ: «يدُ اللهِ مع الجماعةِ».

السّمعُ والطّاعة

وتابعَ (أبو الخير): ويقصدُ الرّسولُ ﷺ بالسَّمْعِ والطَّاعةِ ، أي الطَّاعةُ للهِ وللرّسولِ ، ولأُولي الأمرِ بما يناسب أوامرَ اللهِ وأوامرَ رسولهِ.

ولا يجوزُ لأحدٍ أَنْ يشقَّ عصا الجماعةِ تحتَ أيِّ عُذْرٍ أو مبررٍ.

الهجرة

ويُقصدُ بالهجرةِ الهجرةُ مِنْ مكَّةَ المكرمةِ إلى المدينةِ المنوّرةِ ، ولكن بعدَ انتهاءِ تلكَ المرحلةِ ، اتَّسَعَ مفهومُ الهجرةِ ليشمَلَ كُلَّ هجرةٍ من أيِّ بلدٍ كافرٍ لا يستطيعُ المؤمِنُ أَنْ

يقومَ فيهِ بالشَّعائرِ والعباداتِ إلى أيِّ بلدٍ إسلاميٍّ يستطيعُ فيهِ أَنْ يمارِسَ ذلكَ.

الجهادُ في سبيلِ اللهِ

وخاصّة إذا اغْتُصِبَتْ أرضُ المُسلمين، كما هي حالُ البيت الأقصىٰ والجولان اليومَ وما إلى هنالكَ، مِصْدَاقُ ذلكَ قولهُ تعالى:

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾

[التوبة: ٤١].

نسألُ الله أَنْ يجعلَنا من الَّذين يَسْتَمِعُونَ القولَ فيتَّبِعُونَ أَحسنَهُ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ